تحت الحجر الصحي

قصة حقيقية عايشتها:

شيماء حلمي

دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2020

تحت الحجر الصحي

قصة طويلة (حقيقية)

شيماء حلمي

دار
قصص وحكايات
للنشر الإلكتروني
kesasandhekayatpub.blogspot.com

العنوان: تحت الحجر الصحي

النوع الأدبي: قصة طويلة

المؤلف: شيماء حلمي

قوة السرد: كتابات شبابية

التحرير الأدبي: رمضان سلمي برقي

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2020

الحالة: حصرياً

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 67

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2020

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

الفهرست

ليست البداية ولا النهاية.................................. ٦

غرفة الكشف... .... ٨

الليلة الأخيرة.. ١٠

غرفة العناية المركزَّة.................................... ١١

بداية الكتابة... .... ١٣

بلطيم... ١٤

يوما آخر ومرة ثانية!.. ٣٧

نبذة عن المؤلِّفة ٤٨

انوار تنطفئ وتضيء لتظهر جميع الغرف والاستراحة.

فى البداية؛ لن أطيل عليكم فى سرد مراحل الألم والتخبط بين الأطباء والمستشفيات لايجاد دواء؛ دون جدوى! ولن أطيل التعريف بى فانا فقط: (شيماء) المتحوّلِة إلى (كورونا) والتى كانت بالأمس ام لثلات أطفال... لنبدأ؟

شيماء حلمي

ليست البداية ولا النهاية...

أنوار... أنوار!

أنوار تضيء وتنطفيء لتظهر معاناة: ألم ووجع وترنُّح، و أطباء، ومستشفيات الى نهاية المطاف أمام بوابة "مستشفى حميّات إمبابة العام".

تتزايد الجلبة، ويتعاطى الواقفون الصياح كمخدِّر! أمام باب الكشف حيث نتكدّس، تتناثر الكلمات المخنوقة والأصوات المبحوحة:

- أريد الدخول؟

يصيح بنا الممرض الضخم:

- انتظر؟ هناك حالة بالداخل؟

- طيب. ألن تجمع التذاكر منّا ثم تنادي علينا؟

- لا. سأدخلكم لا تقلق؟ "يالا" ياأستاذ تفضّل؟

حاول أحدهم الدخول:

- أنا معي حالة مريضة جدًا.

- طيب. هيا...(دخلتُ أنا) انتظري من فضلك؟ لازال هناك مرضى بالداخل؛ لربما تتأذين، أو تُعدَي...

انقطعت نداءاته مع غلق الباب.

غرفة الكشف...

يجلس إثنان أطباء، يرتديا قناعيهما؛ نظرا لي نظرات بريقها موؤود، محلها تتركّز نظرة جديدة؛ ربما كانت نظرة شفقة؛ شفقة عليّ، أو على أمثالي، وربما شفقة على حالهم...

- ما اسمك؟

أحدهما سألني بها!

بصوتي الواهن الخافت:

- شيماء.

- ما شكواكِ ياأستاذة؟

سألني بها ذات الطبيب، بينما زميله كان مُنشغلاً مع حالة أخرى؛ رجل عجوز...

- سُعال وحرارة مرتفعة، و...

- أريد صورة اشعّة، وصورة دم. "لعندكيش حاجة ياشيماء مجرد اشتباه بس عايز أطمن" لذا مطلوب منكِ إجراء مسحة.

أخرج، وحالة تدخل والأكتاف تتنافر لا مساس؛ مخافة العدوى والجميييع دون كمّامة!

انوار تنطفئ وتضيء لتظهر جميع الغرف والاستراحة.

فى البداية؛ لن أطيل عليكم فى سرد مراحل الألم والتخبط بين الأطباء والمستشفيات لايجاد دواء؛ دون جدوى! ولن أطيل التعريف بى فانا فقط: (شيماء المتحوّلِة إلى (كورونا) والتى كانت بالأمس ام لثلاث أطفال... لنبدأ؟

الليلة الأخيرة

يشتد ألم السعال المتلاحق؛ يزداد اللهاث، وارتفاع الحرارة...

يضيق مجرى التنفُس؛ الألام شديدة بالجسد. ترنُّح و فقدان للوعى، وبكاء الأهل ولهفتهم عبر الهاتف.

المرور والوقوف بأبواب المستشفيات؛ طوال الليل إلى شروق الشمس، وكان الرد دائمًا: لا يوجد (مفيش).

وانا أتألَّم واتقيأ... اعتذر!

مرة أخرى عند الحميات وصراع للدخول، وأنا بالكاد أسمع الأصوات وارى الناس.

أخى وأختى وزوجى يتلهَّفون عليّ؛ محاولين إنقاذى، وبالنهاية؛ وُضِعتُ على سرير لاخذ جلسة أكسجين، بعد عِراك مع الطبيب الذي كانت وجهة نظره: "أنى بخير رغم فقداني الوعى والاختناق أمامه!

(ما علينا) فقد ظهرت النتيجة أخيرًا:

- إيجابى!

غرفة العناية المركزَّة

تم إسعافى وتحسَّنتُ كثيرًا، برغم ارتفاع السكَّر الكبير المفاجيء. شعرتُ بالراحة والهدوء. رأيتُ أولادى عبر الإنترنت فاطمأنيت بأنهم بخير وأنا ساتعافى وأعود إلى البيت و ...

)نِمت)

-(شيماء قومى؟) انهضي؟

بوسن وخدر عالق بجفنيّ:

- أيوه!. ماذا هنالك؟

- سيارة الإسعاف بالمستشفى تنتظرك؟ خمس دقائق تتجهَّزي فيهن، وتحضرين بطاقتكِ معك.

نظرتُ بهاتفي:

- الساعة الثانية صباحًا! ليس معي شيء، ولا أعرف حتى ما الذي أرتديه!

- ليس مُهِمًا؛ المُهم: نلحق بسرير شاغر!

- طيب. أتصل بأهلي؛ كي يلحقوني؟

- لا تأبهي؟ فهناك ممنوعة الزيارات؛ ستذهبين إلى "بلطيم".

- بلطيم!

***

أتقدّم نحو سيارة الإسعاف بخطوات مُتئدة؛ فقد اشتدَّتْ عليّ مرة أُخرى أعراض المرض!

بداية الكتابة...

بعد فقدان وعي كامل لأكثر من يوم.

12_05_2020

10:45 ص

سيارة الإسعاف؛ لم أعتد ركوبها من قبل. حاولتُ الاستلقاء و السعال يشتد، و برودة جسدى الضعيف تزداد. حملتنى سيارة الإسعاف و أنا حذرة جداً من مجهول لا أعلمه.

أشعر بالبرد والسعال يشتد رغم أرتدائي العباءة. أمامى حقيبة لا أعلم ما بها، فسحبت ماظهر لى؛ كانت جلباب. كنت أتحرَّك بربع وعى أو أقل؛ الروئية ضبابية، لمحتُ قارورة مياه؛ فقمتُ والسياره تتأرجح؛ شربت القليل، فقد كان تأرجح السيارة عنيف فأطيح بالقارورة والكوب وبى.

الطريق طويل؛ لم أنم لحظة؛ دموعي تذرف، ودعواتي إلى الله. الشمس تشرق:

- لقد وصلنا؟

- تفضَّلى بالنزول ياشيماء؟

بلطيم

مستشفى بلطيم النموذجى

أنا هنا!

أخطو خطوات ضعيفة هذيلة، بجسد منهك وخُمس وعى، وضباب. خيال امرأة تتحرّك وأنا أحمل حقيبة صغيرة، ولا قدرة لى على حمل الأخرى.

ردَّدت المرأة، بالكاد أسمع الصوت قادم من بعيد:

- هاتى حقيبتك، وادخلى يمينًا فى شِمال؟

أتقدَّم وأنا أرتجف من مجهول ينتظرنى!

المبنى كبيير وخال؛ و السعال يشتد و الهبوط و ضيق التنفس.

بالكاد أرى الوافدين مثلى جالسين بالأماكن المخصصة للانتظار.

وبعد انتظار طويل معهم؛ يأتِ موظف الاستقبال؛ يحمل كشفًا، ويستكمل البيانات:

-اسمك؟

- سنك؟

- أين بطاقتك؟

بهدوء وصبر يكتب!

- التالي؟

ثم إلينا:

- ستصعدون إلى الغرف الآن؟

ساعدتنى المرأة إياها فى حمل الحقائب.

***

أمام الغرف ناديت المرأة:

- من فضلك هى الغرف منفصلة؟

- لا مزدوجة! فلا نجد السرائر هنا.

تحركنّا إلى الداخل:

- تفضَّلى من هنا؟ لم الخوف؛ هي الأولى بالخوف؛ لقد قدمت قبلكِ بليلة!

- أنا كورونا.

الغرفة نظيفة مزدوجة، وبها عوازل من ستائر جلدية؛ لها مرحاض و شباك، والتهوية ضعيفة بسبب العوازل. بها شاشة تلفاز مشغل على قناة القرآن الكريم.

اصوات مكبرات اصوت تعلوا بالخارج؛ معلنة عن أسماء لا أعلم لماذا؟ تجلس فى الغرفة امرأة مسنّة، وقد احتلَّت السرير المقابل للنافذة.

أتتا امرأتان، احداهما تحمل ملاءة سرير، والثانية لا أعلمها؛ جميعهم مقنَّعين وأنا بأكاد أقف وأراهم من خلف الضباب.

قالت الأولى:

- أراك ضجرة! لمَ؟

- انا مُتعبة!

طيب. اقعدي، فقعدتُ، وردَّدت بعض الكلمات التي لم اعي منهم شيء. على السرير لم تكن به وسائد. تدمع عيناي تدمع فى صمت:

- أين أنا؟

- لماذا أنا هنا؟

- من هؤلاء؟

- أولادى كيف سأراهم؟ بل هل ساراهم مرة أخرى؟

وجهتُ الكلمات للطبيب، الذي أتى خلف الممرضتان ببذلته المعقمة ذات القناع، مستفسرة عن حالتي، فسألني:

- لماذا أنت غاضبة الآن؟

بصوت خافت وعدم رؤية واضحة قلتُ:

- سوء المعاملة من المُستقبِل.

- أنتِ لم تعرفينا بعد، وستحبيننا جدا لمَّا تعرفينا؟

صمت وظلال، وانغماس بافكار لا نهاية لها!

الطبيب والممرضة، نصحاني:

- شيماء تناولي الدواء؟

بصوت خافت واهن و لهاث:

- لا. لا أستطيع فهو كثير ومعدتى تؤلمنى جداً، ولم أتناول الطعام بعد!

الطبيب:

- لابد من تناوله؛ من أجل تعافيك؟

أعطتنى الممرضة جرعة الدواء، والمكونة من سبع أقراص...

مازلت أنتظر الوسادة؛ جسدى يؤلمني، ومعدتى أيضًا، عيناى تغفل ولا انام، جسدى يرتجف. تتسلّل آيات من القرآن إلى مسامعى:

...فبصرك اليوم حديد... السحر إن الله سيبطله.

بكيتُ كثيرًا ولا ارى سوى أولادى. الوقت يمر؛ أنتظر الوسادة، تنهار قواي الهذيلة، أستند على الحائط وذراعى؛ اخاف أن اغفو غفوت أشعر بأن أنفاسى ستتوقف... أشعر بالموت.

أشتم رائحة غريبة مزعجة انبعثت بالمكان...

آيات القرآنن تتردد باعثه فى النفس الوعظ، وأن الحياة ليست لها قيمه صوت المنادى...

- توفى إلى رحمة الله تعالى الحاج...

ولا أكاد أسمع الأسماء. واحد وإثنان وثلاث ومازال العد...

ينقبض قلبى والساعات تمر؛ أنتظر وسادة؛ الألم يشتد بمعدتى وجسدي.

رأيت ُ امرأة من خلف الضباب، بصوت واهن ناديت:

- من فضلك أريد وسادة؟

- من أين! لقد انتهوا!... أأنتِ مريضة، طيب سأرسل لكِ بصحبة زميلتي.

يمر الوقت لا طعام؛ لا وسادة، لا أرى امامى غير الحواجز: الستائر الجلدية، و طرف نافذة، وجانب من السيدة العجوز؛ ترتدى الكمّامة.

يعاودني شعوري بالاختناق، بسبب ضعف التهوية، بسبب ذلك الساتر الجلدي، القابع مايني وبين النافذة.

أجلس متكأة على ذراعي، ومعدتى تؤلمني، والألم يزداد. تتسلل الآيات لمسامعي، وأمعن السمع فى معانيها وأبكى متذكِّرة الموت، ونهاية الحياة، وأولادى الذين لم يكبروا بعد!

جاءت وجبة الإفطار ظهرا تقريبا؛ وقد كانت رغيفين خبز أبيض مع قطعتين جبن و مربى ووكوب شاى وبعض السكَّر.

أنا لا أتناول السكر أو المربى؛ فإني أحافظ على نظام غذائى بسيط.

تناولت ما استطيع لان معدتى كانت تدورمن الآلام. ثم جاء الطبيب:

- بماذا تشعرين؟

- عددت عليه ما أشعر به، كان يسجل فى ملف...

- تمام يا شيماء.

ذهب وتركني مع الألم!

وأخيراً جاءت لى العاملة بوسادة صغيرة؛ احبطنى هذا ولكن لا بأس: أخيرا ً سارتاح!

حاولت النوم والراحة ولكن الألم يؤرقني؛ كلما مرَّت أمامى ممرضة أردد:

- من فضلك أنا تعبانة؟

- طيب حاضر هبعتلك حد.

جاءت الوجبة الثانية لا استطيع أن أأكل؛ تناولت القليل وأنا غارقة فى أفكاري وآلامي، تناولت جرعة الدواء الثانية. سألت الممرضة: أليس بالغرفة مُكيف هواء؟

- نعم يوجد ولكن مغلق لصحتكم!

- أولكني غير قادرة على التنفُّس!

- خلفك جهاز اكسجين علقيه.

قالتها ثم تركتنى! وأنا لم يسبق لى التعامل مع تلك الأجهزة.

من خلف الستائر الجلدية؛ لا أرى شيء؛ أنا فقط وسرير وجهاز اكسجين! مِعدتى تدور من الآلام؛ قدماى وجسدى ثقيلين، ويؤلماني جدًا، ولا أستطيع الحركة على قدمي، فمتى فعلتُ شعرتُ بحرقة شديدة.

تستحيل ضربات القلب إلى سريعة؛ ويبدأ سعال شديد، لا أستطيع التقاط أنفاسي، وكأن رئتاي أغلقتا.

- آه آه...

إنى اتدوَّر آلاما لا صوت لى والوقت يمر!

أهمس: إنى أموت... أولادى ، أين الطبيب؟ أين الأهل ؟ اولادى؟

صخب حولى لا أعلم من هؤلاء ولا ماذا يفعلون؛ أغمضت عيني، فجاء صوت من بعيد:

- رجاءً؛ امرأة تحتضر هنا!

- مابك... بماذا تشعرين؟

ياتنى الصوت من بعيد جدًا فأردِّد:

- إنى أموت.. أموت؟

وجع فى بطنى فى جسمى، اتنفّس، ألهث؛ جسدى يشتعل من الحرارة، أتصبَّب عرقًا.

يجري من حولى خطوات إسعافي؛ أشعر بوخذ، ولا أعي ماذا يحدث، فقد تخدر جسدى من الآلام.

ثم فجأة بدأ جسدى في الارتجاف بشدة، لا أقدر على فتح عيناي؛

سمعت كلمة: (اهدأي) يأخذنى غياب الوعى للنوم لكني يقظة ألا تسرق روحي.

أغفو واغفو و أغفو.. لا لن تُسرق روحى مني فكلما غفوتُ يتوقف التنفس.

شعرت بلمسة حانية على جبيني، أكسبتنى الهدوء للحظة...

فتحت لعينى المغلقة شاشة أخذتنى؛ أرى سيدة تنزل من قطار، وركَّاب كثيرون؛ منهم من يصعد، ومنهم من يركب ومن يلوّحِ بيده. يبدو أنه فيلم يشبه أفلامنا القديمة: جميل هذا اذًا لأكمل المشاهدة فغفوت!

النور... أشعر بالنور فوق جفني بصعوبة أفتح عينى: أنا مازلت على قيد الحياة! أهذه هي الدنيا أم انتقلت إلى عالم آخر؛ أتحسس مصدر الضوء فأجد ضوء المصباح والستائر. يأت صوتًا:

- صباح الخير؟ هيا العلاج؟

أحاولن الحراك لكن لا أستطيع فقد تخدَّر جسدي، الالم مازالت بقاياه فيّ.

تحاملت لأقوم وآخذ جرعة الدواء ولكن تلك المرة تذكرت أن معى طعام بسيط، فاخدت أتناول منه وبجسدى رجفة، وأخدت جرعة الدواء.

أرى اشخاصًا مرتدين أقنعة يذهبون إلى السيدة العجوز؛ أسمع الكلمات ولا أعيها! وأسأل ولا أُجاب! لقد دخلت مرة أخرى فى دوامة الالم والحرارة والرجفة الشديدة والسعال. أغيب عن الوعى وأقاوم: سوف تتوقف أنفاسى. مازلت يقظة إلى الفقدان الكامل.

مرة أخرى؛ افتح عيني على صوت جرس الهاتف؛ أخى يقوم بتوجيهى، زوجى واهلى يطمئنون.

انا ألهث لا أستطيع التحدث، يسقط الهاتف بجوارى.

تاتينى جرعة الأدوية للمرة الكم؟ لا أتذكر و أحاول مع الطعام لا استطيع البلع نهائيًا، فأشكو الطبيب لإحضار دواء يساعدنى. رايته يسجِّل بالقلم ويمضى خارج الغرفة.

أختنق رغم الأكسجين، فأنا أكره الاماكن المغلقة، والتى ليس بها نافذة، و هكذا كانت غرفتي!

لا أعلم كم من الوقت مضى؛ فأنا دائماً فى فقدان وعي جزئى، أو كلي، مرات ودوامات من ألم لا أعلم مصدره الحقيقى. صوت آيات القراءن (فبصرك اليوم حديد...) صوت المنادى على المتوفين يرهبنى.

همست لاخى عبر الهاتف بأني لا أستطيع الحراك، وبما أشعر وغبت عن الوعى لكن عقلى يقظ، انتبه حين تُغلق أنفاسي!

يصرخ زوجى عبر الهاتف، طالبا الدعم لى، فأنا غائبة عن الوعي وبمفردي. تمت الاستجابة على الفور.

بحكم منصب اخى الكبير فقد حرك السلطات للاهتمام بحالتى وابداء الدعم او محاولة نقلى لمكان اقرب.

***

الضوء...

أفتح عينى بحذر: أهذا صباح أم ضوء مصباح؟

يبدو أنه صباح، لا صوت مريب أسمع أصوات الصباح المعتادة من زقزقة عصافير وهواء، فتاتينى رسالة اخى: "آه أنا صحيت، هو يوم طبيعى اهه"

فابتسمت فقد كان يشاكسنى دائماً لأضحك لكن حالتى لا تسمح، كنت أقاوم آلام شديدة. اتت الممرضة بجرعة الدواء فاخذت انظر إليها على أنها عدو؛ تدخل لتحارب جسدى لا لمحاربة فيروس ... أتى زوجى لمحاولة رؤيتى مسافرًا، وجلب بعض الأموال واثبات الشخصية. حدثنى عبر الهاتف ، أنه ينتظر بالشارع وصول الأغراض لي، وانا فى محاولة مقاومة لفقدان الوعى والهذلان لأقوم وأقف عبر النافذة، فقد طلب مني مرددّا:

- مستحيل ادخل أو أقرب... حاولى ، عايز اطمن عليك؟"

اقترب من النافذة وأستند عليها حتى لا أسقط. أرى قوات من الشرطه متفرقة بالمكان و هواء وغيوم و اتربة.

زوجى:

- مش عارف أقرّب من البوابة؛ بيقولو واحد قتل نفسه امام باب المستشفى!

انتبهت: إيه . مين؟

- بيقولوا سواق توكتوك أو عسكرى مش عارف!

- لماذا ؟

- مش عارف ومش عارف أقرّب من البوابة. سلمت الاوراق.

الجو عاصف وامطار، يتعجّب زوجى من تلك الاجواء!

- المهم... انتى عامله ايه؟

- أنا الحمد لله.

- شكلك مش قادرة تقفِ؟

فقد كنت اتشبث بالنافذة...

- طب ارتاحي؟

تحاملت ورجعت إلى سريرى أنتظر ما آتاني.

أفكِّر: لماذا ينهى هذا الشاب حياته بيده ونحن نتشبث بطرف أمل من أجل اولادنا.

أرهبنى الموقف وزحف إلي ثقل وخيم على صدرى وافكارا مزعجة،

وبدأت اتذكر.

حقا فقط سمعت غلبة وجلبة تاتى من مكان بعيد، و صراخ لم اهتم كعادتى...

ايها الشاب الفقيد؛ لماذا تنهى حياتك بيدك ؟

أإعتراضا على الأحداث، ولكن من بيده شئ الآن؛ جميعنا بين رحمة الله وقدرته؛ سيموت ويعيش الكثيرون! فلماذا تجلب لنفسك غضب من ا.لله

وتذكرت ابنائى وكم أنا راغبة فى الحياة من أجلهم، فهم قرة عيني، وضحكتى وهناء قلبى... اللهم راعهم واحفظهم.

ثم انتابتنى أفكارا مخيفة.

هم يميتون الناس هنا إذا ؟ لا فقد قامو بانقاذى!

جاءتنى الأغراض مصاحبة لجرعة الدواء، وبحركات اعتيادية تفقدت اغراضى دون وعي؛ يسقط منها أشياء ومحاولة الحفاظ على اشياء.

الوقت...

يمر بثقل فالآيات مكررة، واصوات منادى الوفيات يتوقف ليعود.

جاءت الممرضة:

- ماخدتيش الدوا بتاعك ليه ياشيماء؟

- لم افطر بعد! من فضلك عايزة هواء، ممكن تفتحى الستارة؟

الممرضة:

- فعلا المكان عندك مكتوم جداً!

غضبت السيدة العجوز فهى تريد العزل، لكنها وافقت على السماح بالتهوية لفترة بسيطة.

***

- ياشيماء لازم تاخديها عشان تخفى؟

مش قادره ابلع عايزة حقنة القيء؟

أشعر بحرقة شديدة جدا بصدري، ألقيت بجسدى على الوسادة ولا أستطيع النوم، فأنفاسي ستتوقف!

الهاتف يرن كثيرًا، الجميع يريدون الاطمئنان.

ارد ولا أكاد أكمل بعض الكلمات، حتى استنفد الأنفاس وأتوه بدوامة لهاث وعدم إدراك! افكارا وافكار؛ لا تنتهى الوحدة والفراغ والمرض والألم واستماع لأصوات آلام المرضى، وقراءة قرآن وصلاة ودعوات ورجفة بجسدى.

أتى الاطباء لتفقد أحوالى، أحاول الكلام بصعوبة، ولكن أشعر بوخذ شديد بيدى: ما هذا؟

- سنأخذ عيّنة اكسجين للاطمئنان عليكِ؟

وجدوا به نقص شديد فألزمونى بجهاز التنفس. ضربات القلب هدأت قليلا و النهجان والسعال: إذن استطيع النوم.

أُغمض النصف الآخر من عينى محاولة النوم، تنفسي يقف فانتفض. تأتي رائحة مزعجة تكتم أنفاسي، فأقاوم. أتى أطباء إلي للاطمئنان فقالت الطبيبة:

- فعلا من أعراض عقار موصف لك سرعة ضربات القلب و زيادة معدل السعال فلا تقلقين، يمكن ان نغيره والأعراض ستهديء والعقار الآخر يأت بارتجاع مريء و قيء و وو...

فقد توقفت عن السمع...

خُنقت من آيات القرآن الباعثة للحزن والموت؛ سأطلب من السيدة العجوز تحويل القناة او إغلاقها:

-من فضلك حولى القناة؟

- بحاول كل يوم الريموت مش بيحول دى ثابتة!

بافكاري: (اتموسفير عنب)!

نصمت. وفى انتظار الشفاء أو الموت. تأتى النصائح عبر الواتساب؛ أختى الكبيرة:

- معلش ماهو الدواء ده هو اللي هايظبط معاك الدنيا ويقضي على اللعين ده!

اردد:

- مممم صح!

بافكاري: (أنا كورونا)!

لا أستطيع الرد على الرسائل بغير كلمة أو جملة إن استطعت، فهم يرسلون الدعوات.

اخذت جرعة الدواء ... وانا أعي أنها مجرّد أعراض؛ اذًا هى مجرد إشارات للعقل.

تفقدتُ الرسائل وحاولت الرد على بعض منها؛ مازلت أرى كل شيء من وراء ظلال.

وبدأت اغيب عن الوعي الكامل... لا لن أغيب أريد أن أعرف ماذا يحدث لى؟!

أغيب عن الوعى...

أستفيق...

جسدى بالكامل؛ أصبح ثقيلًا جدًا! سأرفع قدمي: لا أستطيع!

أشعر الآن بحركة الدواء بمعدتى والأمعاء؛ إنها كتوربينات تتحرك ممشطة يمينا ويسارًا. تحدث تقلُّصات شديدة ومؤلمة؛ دقّات قلبي تزداد، والاغماء يتكرر؛ أحاول الحراك؛ جسدى مخدر! أحاول الهتاف لنجدتى: لا أستطيع، لا صوت عندي، وعبر "الواتس آب" أكتب حرفين ويدى تسقط! شعرتُ بروح أبي حولى؛ أكاد أراها تتحرك إلى أن غبت تمامًا عن الوعى.

***

يوم جديد يمر، ولا أعلم كم من يوم مر!

الضوء يأت لعيني؛ لا أصوات ولا تأثيرات غريبة!

آه حقا؛ أنا صحيت: انه يوم طبيعى، وابتسمت.

أتت الممرضة:

- صباح الخير ياشوشو يلا عشان تاخدى العلاج بتاعك؟

اضع يدى على رأسي ولا أتنفّس!

تحاملت وقاومت هذال جسد ضعيف، وثقل عَرَض عقار عقيم، وبحركات اعتيادية لا نحتاج فيها للوعى الكامل لممارسة العناية الشخصية والوضوء والصلاة.

الرجفة لا تتركنى وغياب الوعى يعيقنى أن أصلى.

كم ركعة صليت؟ لا أعلم ساعيد الصلاة. اللهاث يشتد لا أستطيع إذا ساضع جهاز التنفس، وأقرأ القرآن؛ أستوعب كلمات ولا أدرك ما بعدها. إذا سأرقد فى هدوء الرجفة والأفكار السلبية لا تتركنى...

آتى صوت السيده العجوز:

- انتى منين؟

- أنا من الجيزة، وحضرتك؟

- من الشرقية.

بدأ التعرف بعد فتح الستائر لمنتصفها.

عرفت اسم السيدة من كثرة ترديده بين الأطباء والممرضات.

فأتانى صوتها مرة ثانية، وأنا سابحة بأفكار لا نهاية لها.

- شيماء؟

- نعم.

هى أيضاً تتحدث بصوت واهن حذر:

- هم جابونا هنا ليه؟ أنا بستغرب؛ أنتِ من الجيزة وأنا من الشرقية؟!

بمقاومة أنفاس تتلاحق وباسلوبى الساخر كعادتى:

- أكيد لتضافر وتضامن قوى الشعب فى مواجهة الكرونا.

ابتسمت السيدة العجوز، ثم قالت:

- أهلى ميعرفوش أنا فين!

- متقلقيش هيعرفو وهيوصلولك.

صمت لا تقطعه سوى تلاوة القرآن.

كانت الممرضة عند السيدة العجوز تمرِّضها وإذ بأوصالى تتجمَّد، ورأسى يسقط على الكرسى. الطبيب دخل مصادفة، وقد كان آتيًا للسيدة العجوز.

- ماذا بك؟

موجها سؤاله لي: أنطق:

- لا أعلم!

بالكاد أرد بلسان ثقيل:

- إنى أتجمّد!

- أتتشعرين بهبوط؟

-لا.

- تنميل؟

- لا... لا... انى اتخشّب!

تذرف عينيّ بالدمع راجية من الله نجدتى. قام الطبيب باسعافي،

فانفكّت الأوصال وارتدَّت الأنفاس.

- متخافيش ياشيماء احنا كلنا معاكِ وهتخفى وتقومى بالسلامة،

إحنا هنبدأ من دولوقت رحلة العلاج الفعلية...

لم أسمع ما قيل بعد ذلك، فقد توقف تفكيري: اهو الموت؟

اكنت ساموت؟ أولادى؟ الكشف؟ ماذا قدمت لحياتى؟

بكاء انهيار وصمت وتفكير؛ دخل طبيبان والممرضات بمرور اعتيادى لتفقد الاحوال فرآونى على حالتى تلك:

- ما بك ؟

أصمت...

- أكنت تبكين؟

أصمت..

- اشئ يؤلمك ؟

أصمت ؟

تحدثي؟

- كنت ساموت اليوم؛ رأيت الموت بعيني!

انهيار وبكاء...

- اتخافين من ارتفاع السكر أنه عارض من أحد العقارات.

- أيضا... كدت اموت!

- مش انتِ ياشيماء؛ انتى لسة فى الثلاثينات؛ أنا بقى عندى ٨٠ سنة! أنت ِ مناعتك أقوى؛ اللى بيموت هم اللى عندهم امراض مزمنة؛ انا بقى عندى أمراض كتير . انتِ اتحسنتي كتير جدًا؛ دا اول يوم لينا من غير اكسجين. حالتنا بتتقدم وبتتحسن.

- والناس اللى بتموت!

ابكي.

- اهدى إحنا كلنا معاك وحواليك و معاكم كلكم لحد ما تقومو بالسلامة. والسيدة الطيبة كمان معاك.

علمت السيدة العجوز بخوفى ووحدتى؛ فقررت مشاركتى وحدتها أيضا ومخاوفها.

***

علمت بقرار الاطباء بمكوثى بالمشفى حتى تمام الشفاء و وبمكوث الست نادية أيضا؛ فاتحد مصيرنا معا للشفاء.

أصبح الآن عندى هاجس الموت محقق بجوار الام واعراض العقارات العاتية...فتحت الستائر اكثر وتعارفنا اكثر.

الست نادية؛ امرأة ريفية مسنة من الشرقية بسيطة وطيبة، يمر عليها عامها الاثنين والستين الآن. لم تكن حالة الست نادية الصحية قبل دخولها المشفى

أفضل من حالى وممن أصابهم الوباء فهى أيضاً مرّت بدوامة من الأطباء والعقاقير، وقد اعتقدت أنها ستاخذ عينة وتعود لمنزلها؛ حتى أنها لم تأخذ معها حافظة النقود، أو إثبات شخصية، ولا ملابس تكفي! وانطلقت من بيتها دون إعلام أحد، لم تكن تتوقع أنهم سياخذوها من الحميّات إلى عناية مركزة، وإلى إسعاف ومن ثم المشفى. وأخذت تبكي:

- معرفش ليه جابونى ، هو أنا عملت إيه ياولاد؛ أهلى ميعرفوش عنى حاجة؛ زمانهم هيتجننوا عليا وأنا دماغى هتوج هتجنن خلاص بفكر فى بناتى و فى محمد ابنى وروحى؛ عايزه أسمع صوته بس واطمن ويردلى روحى... ده أنا ببكي ليل ونهار!

- هتطمنى يا طنط والله وهيعرفوا يوصلولك صدقينى؟

تردد الست نادية بعض الكلمات، وأنا لا أعيها؛ فقد غبت عن الوعي.

حقيقة الأمر أن ما نالته الست نادية من اهتمام موازى لما نلته أنا، مثل كل مريض؛ كلا على حسب حالته ياخذ الرعاية والدعم...

نوبات ونوبات من الآلام وأفكار ومخاوف، وبعض هواجس، إسعاف ودعم ، أطباء، ممرضين؛ وجميعهم دووون نوم ... مرور دورى للاطباء لتفقد احوالنا.

يات طبيب شاب، فاشكو له القيء المستمر؛ فقد اهلكني!

فما كان رده سوى:

- عادى مريضة بارتجاع المريء، وده هيفضل على وعلطول ومستمر!

صدمني القول!

يوما آخر ومرة ثانية!

الطبيب بهدوء وثبات:

- شيماء لما تخرجي من هنا تابعي السكر؟

- رجاء لا اريد انسولين فهذا سيوقف نشاط البنكرياس كما انه يعرضني لنوبات لا استطيع التعامل معها!

ضربات القلب تسرع، ونغزة بالصدر؛ تحدث ذهاب وعي! إلى أين لا أعلم. أغوص بأفكاري؛ أهي أعراض أم أمراض لحقت بي.

أقَدَر ربي عليّ مواجهة جميع تلك البلايا...

اتذكر الآية الكريمة:(لا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها) صدق الله العظيم

اذًا هي وسعي؛ اذا ساتحمَّل وأصبر وأحتسب.

إذًا سأقاوم...

عادة يأت العامل بالطعام وينادي:

- ٢ سكر ولا واحد عادة؟

فالرد يكون: واحد سكر والتاني عادة.

إلا أني أردت المحافظة وضبط آداء السكَّر.

فرددت هذه المرة: ٢ سكر.

بعد الاستماع لنصيحة الست نادية!

الوجبة؛ شربة خضار و أرز محمّر أو معكرونة، وفاكهة، وخضار... لا ادرى؛ تمام فلآكل.

أخ! ما هذا؟ شربة خضار أم خضار ماء!

لا طعم ولكن سأكمل فهو المذكور والصحي!

لا لا استطيع سآكل أرز. برغم أنه يرفع السكر ولكنه الحاضر إذا سآكل!

لا طعم لآكل خبز؛ لاقدرة لي على تحمّل التهاب فمي فهو عَرَض أيضاً! لا لا أستطيع أنا أعاقب أنهم يعاقبون مرضى السكر، فلينزع من بين أيديهم طعم الحياة.

فى معاودة العامل مرة أخرى باليوم التالى:

٢- سكر...

ردت الست نادية: أيوة ٢.

بينما أنا غارقة بأفكاري والكتابة؛ انتبهتُ بشدة وبصوت عالٍ:

- لأ واحد...

فعَلَت الضحكات...

- أنا لا أريد العقاب.

يأتون إلينا بالمشروب الدافيء.

قراءة القرآن، محادثات وابتسامات وأدعية داخل المشفى وعبر وسيلة الواتساب.

آه؛ معدتى فقد بدأ "الجيم" آلام وتقلّصات وقيء، وضربات القلب تسرع، و حرقة شديدة بالصدر و الجسد، وضيق التنفس وتخدر بالجسد وغياب وعي. لأسرع فى طلب النجدة قبل تفاقم الاحداث، لأشد أذيال قدمي الثقيلة، وأقوم لأطلب التمريض.

آه الالم يشتد؛ يعصر معدتي؛ أفتح الباب؛ أكاد أهتف (تمري...) لم اكمل الكلمة فقد تجمدت واقفة!

ما هذا؟

أرى غزالا متبخترا بالطرقات!

انها فتاة ريفيّة بجسد ممشوق؛ ترتدى ثوب يرسمه بل ينحته. ثوب أبيض وبه وردات لها ألوان لا اعيها، لكنه مبهج، "والبندانة الدنتيل" أعتقد أنا لست خبيرة بالاقمشة؛ وتضع الكمّامة بتأنق؛ وتغدو بالطرقات ذهابا وايابا، فانظر الى ملابسي

الرمادية وعصبة راسى السوداء ممسكة بمعدتى لأضع يدى على رأسى (آه ياكرونتى يانا) لأدخل واحمد الله.

أعطانى طبيب معالج للست نادية قرصين أتعافى بهم، فنظرت إليهم فوق يدي: عقاقير أخرى! امممم معدتى. سأتقيا!

- لازم تاخديها؟

تعلوا الضحكات ممن في الغرفة جميعًا!

أتى الأطباء والممرِّضات لتفقُّد أحوالنا، فتفقدت إحداهن طعامي، وجرعات الأدوية، وأنا بالكاد أحدث صوتًا:

- هو أنتم امتى هتغيرو البرشام بتاع الكتاكيت دة؟

ينتبه الطبيب:

-كتاكيت!

- ايوة أنا بقيت اكح زى الفراخ؛ شوية وهنزل أنقر فى الأرض!

تجمّد الطبيب ولم يقل شيء. لثقل لساني وغياب نصف وعيي؛ أعتقد أنى أهذي!

يوما جديد...

ومرور جديد...

دائما البدء بالست نادية احترامًا وتقديرا لسنها، فكانت كل ما تطلبه يؤتى به إليها.

حان الآن دوري، فتح الطبيب دفترى ويسمى هنا (تذكرة):

- بماذا تشعرين الآن؟

وذلك اعتيادى لايقاف وتبديل ادوية، وجرعات...

- اشعر... بنفس الأعراض!

- لا ما بكِ شيء!

- نعم!

- ما بك شيء.

- لا فقد أقروا الأطباء الآخرين، وهم أكبر؛ أن عندي وعندي ووو...

- وأنا أقول أن ليس بك شيء.

أضغط على وجهى براسي، فقد بات عندى كل شيء...

- أنا هديلك حاجة تنيمك، وتوقفي عن الوسوسة.

وغادر الطبيب الشاب مبتسماً:

- وسوسة!؟

***

مرة أخرى لأحد الأطباء:

- أشعر أن عقلي يشد جهة اليسار وفَكّي أيضا دون إرادة!

- لا لا اطمئني؛ مجرد أعراض.

***

شخصيات وانماط مختلفة، وثقافات وفئات متعددة؛ دُعيت جميعها لمحاربة مجهول بسلاح غير معلوم!

لأبحث عن شئ يخرجنى مما أنا فيه؛ استجابة للنصائح فقد ضجر عقلي أنا والست نادية. اتفقنا على رامز[١] فهو الوحيد الذي أشاهده طيلة رمضانات الأعوام السابقة؛ حقا كان يدخل علينا نسائم الضحكات.

اطمأننت على اولادى كالعادة عبر اتصال فيديو مباشر؛ حتى استطيع الأكل او أهدأ قليلا فَهُم الحياة. تركتهم لبدء "الجيم[٢]" ، وقائمة الأعراض المكررة والمستمر منها الكثير: أجل؛ إنه الماراثون؛ إذا فلأستعد للقيء المستمر.

إحدى لمرضات؛ تراه عادي! إذا عادي؛ لأبقى بجبهة المعارك حتى أغيب. أدخلنى كثرة القيء، وعدم التغذية الجيدة وأعراض المرض والعقاقير بمشكلات جديدة؛ كنقص للوزن، والهُذال أكثر، ونقص البوتاسيوم مما أثقل جسدي كثيرًا.

[١] رامز جلال: مقدم برامج المقالب المصري على قناة mbc ؛

[2] تسخر من أعراض المرض بتشبيهها بصالة التمارين الرياضية

ضربات القلب تتصارع وبقوة، ولا تهدأ، وألم بصدري شديد يأخذني: إلى أين لا اعلم!

اطلب الطبيب...

يبدو أني سأخرج من هنا حاملة حقيبة أنيقة من الأمراض(بفيونكة)!

جاءني الطبيب الشاب مرة أخرى ذاكرًا:

- عادي أنتِ مريضة؛ لمَ لست قادرة على استيعاب أنك مريضة! ليس بمقدري أن اكتب لكِ علاجًا يتعارض مع علاجات الصدر .لماذا لا تستوعبين أن ما ترينه الآن لن ترينه فى أي مكان؛ فنحن عند الصعود إليكم؛ نستغرق في ارتداء الملابس والتعقيم ساعة ونصف. نحن أيضاً نختنق.

ومضى. حقًا؛ أعتذر إليك أيها الطبيب الشاب، واقدِّر ما أنتم عليه. لم يسعني الوقت والظروف للرد عليك ولكن أتمنى أن تقرأ الرسالة هذه؛ فأنت وغيرك وغيري، وجميعنا وضعنا بمحنة. فلياخذ كلًا دوره. أمّا أنت وغيرك المقبلين على مواساة الناس وشفائهم فالمهنه طبيب، طب، طبَّب، (طبطبة) بكلمة تحيي أملا وكلمة تغيث لاجيء وكلمه تهدر طاقة. فلا مقاومة ولا حياة؛ فاجعل الكلمة صائبة باعثة على الأمل مدركة للشفاء.

تقرر وضع محاليل لي فالنبض يقل والأوردة تهرب، وتظل الست نادية يقظة بجانبي لحمايتي من هواء يدخل جسدي، وأسمع صوتها وهى تصرخ لطلب نجدتي حين اشتداد الأعراض فهم مشغولون بحالات أسوأ من حالتى فالأعداد فى ازدياد.

هناك يرقد شاب كسرت ساقه حين فقد الوعي، وسقط على قدميه وفى محاولات لاستيعاب حالته وانقاذه؛ لا طبيب للعظام هنا والاعتماد على المسكنات، أي آلام يتحمل ذلك الشاب آلام مرض أم آلام كسر أم مواجهة أعراض العقاقير!

وبالجوار بغرفة لاحقة؛ يرقد طفل صغير يبكي الألم والوحدة؛

لا يريد الطعام؛ فقط وبعد ضغط طلب كوب من الزبادى!

أي قدرة لك على تحمّل المرض وجرعاته العلاجية!؟ اتقف أمام الموت بذاك السلاح البسيط ياولدي، أي أفكار تدور برأسك الآن!

دخل إليه طاقم التمريض ليهونون عليه ويداعبونه.

***

ثم تأتي اللحظة الفاصلة؛ لحظة ظهور نتيجة العينة! جاؤوا الأطباء مساءً لتبشيرى بأول نتيجة سلبية. فاستبشرت خيرًا وحمدت الله. أمّا الست نادية إيجابية، مرددين إليها جميعًا: النتيجة تأت مختلفة، ويتم الشفاء بالقريب باذن الله.

فظلت تبكى طوال الليل متشككة وخائفة وداعية إلى الله بقرب الشفاء مستعينة بالذكر والصلاة.

وهكذا الحال بين إيجابى وسلبى تتعلق الآمال...

بينما أنا غارقة بكتابة ما تقراون الآن لح عليّ السؤال المكرر: "كيف أصابك الفيروس يا شيماء؟"

وحقيقة الأمر أنا لا أعلم أي إجابة...

***

لماذا أنا ربي؟

أكنت مذنبة إلى هذا الحد؟

أأستحق تلك المعاناة؟

الجميع يخطيء ويصييب؛ يذنب ويتوب، يعصي ويستغفر ويتصدق؟ هكذا الحياة!

فلماذا أنا اذا؟ أقد حان الأجل وذالك البلاء المتمثل فى كرونا وجميع الابتلاءات الأخرى مجرد سبب!؟

الأجل!

هل أنا حقًا فى تمام الجاهزية لتقديم الكشف؟

على الجميع سؤال نفسه..

هل انا جاهز لأراجع كشفي؟

نعم أجد بعض أخطاء وذنوب؛ انجازات ١،٢،٣... أتلك الانجازات تؤهلنى لاستقبال حياتى الأبدية كما أريد؟

ماذا قدمت لحياتي؟ ماذا أقدِّم لك وبين يديك ربى لأقول لك هذا ما صنعت! أأنتنت راض عني؟ اذاك يرضيك ويكفي؟

أريد أن أرى ابتسامتك ابتسامة رضا لا مسحة غضب أو اكون غثاء؟

ربي أنا لم أكمل رسالتى بعد؟ فلتعطنى فرصة أخرى لحياة أحظى فها برضاك..

اللهم عاااافنا واهدنا السراط المستقيم.

إن الجميع خائف؛ منهم من يحتمى بمنزله، ومن يطبب المرضى واشرسهم خوفا المريض نفسه! إنها آجال تنهى، وتكتب من جديد،

فعلى الجميع مراجعة النفس، وطلب العفو من الله فالمصائر بيده.

****

الآن تلك معاناتي ومعاناة كثيرين غيري؛ الآلاف وآلااف، أمّا أنا والست نادية- اللهم بارك بعمرها- وغيرنا فقد حابانا الله بصف من ملائكة من أطباء مهرة، وطاقم تمريض على كفاءة عالية، لرعايتنا و لانقاذنا. فلهم كل الشكر والامتنان،

وسلمهم ربى من كل شر ولكن غيري من لا يستطيع الوصول لسرير وجهاز اكسجين؛ كيف حاله!

فادعوا معى الله للنجاة من الغمة، وليعمل علماءنا على ابتكار الدواء الشافى للصدور.

تدخل الممرضة حاملة جرعة الدواء:

- صباح الخير ياشوشو... صباح الخير ياطنط نادية؛ هيا كي تتناولا أدويتكما؟

- صباح الفل.

لآخذ الدواء المتاح الآن إذن؛ منتظرين أن يحدث الله امرًا.

اما انتِ يا (كورونا) فلا سلام عليكِ؛ فقط دعيني فإني أريد الصعود إلى سفينة نوح..

نبذة عن المؤلِّفة

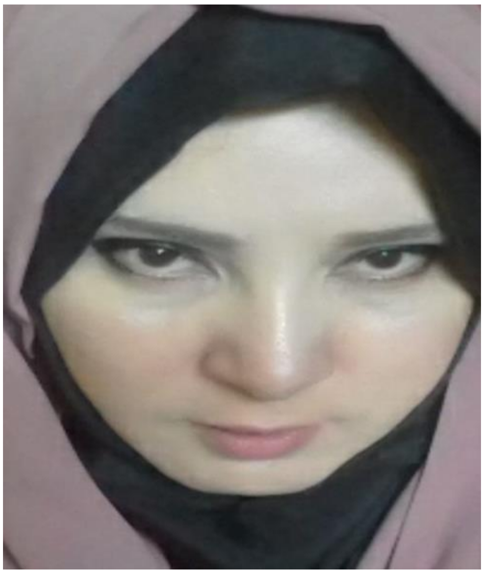

الاسم: شيماء حلمي

الدولة: مصر

المؤهل:

- بكالوريوس تجارة شعبة إدارة أعمال.

أعمال سابقة:

- لا يوجد.